العوامل التي يؤدي تطورها إلى التطور الخلقي

بينما تمتد بيئة الطفل الاجتماعية وتتسع من العائلة إلى المدرسة فالمجتمع الأكبر؛ فإنه يصبح عرضة لتأثيرات واسعة أو متزايدة الاتساع من الأقران والمعلمين والكتب والتلفزيون، ولكن العامل الأكبر في تقرير أي نوع من الأشخاص سيكون عليه الطفل هو البيت ونوع العلاقة التي تربطه بوالديه بحسب رأي مدرسة التحليل النفسي، ثم يأتي دور العامل الثاني في أهمية تقرير مستقبل الطفل ذلك هو الوسط الاجتماعي، فإن الطفل - ومن ثم المراهق فالبالغ - سيصبح عرضة للاستسلام للانحرافات الاجتماعية أو لاندفاعاته الخاصة نحو عدوان غير مسيطر عليه أو نحو الجنس أو اتباعه سلوكًا نكوصيًّا.

إن تطور الضمير الناضج يتطلب نضجًا إدراكيًّا أو معرفيًّا لعمل الأحكام الخلقية فبينما يتطور الطفل فإنه يتمثل مفاهيم مهمة في البيت والمدرسة مثل استشراف المستقبل ونتائج الصواب والخطأ والقيم والأشياء النموذجية ومشاعر الآخرين، والضرورة المنطقية لكي يتعاون الناس مع بعضهم البعض في الأمور التي تهمهم، ومن بين العناصر المهمة جدًّا ذات العلاقة في النمو الخلقي العوامل الآتية التي يؤدي تطورها إلى التطور الخلقي:

أولاً- الحكم الخلقي: Moral Judgment

هو خاصية إدراكية ينفرد بها الإنسان، كما أنها العنصر الإنساني المتفرد في السلوك، وبهذا فهي تعد الخاصية الخلقية الصحيحة الوحيدة في السلوك الإنساني، وعندما نقول: إن الحكم الخلقي هو عملية إدراكية. فهذا يعني أنه يتطور عبر مسار ثابت من المراحل والمستويات المتتابعة، أما الأحكام فهي تختلف في مرحلة الأخلاقية الموضوعية عنها في الأخلاقية النسبية؛ فعند الطفل الصغير جدًّا تكون واقعية لا تقبل المناقشة ومن ثم تصبح نسبية، وأخيرًا تصبح مبادئية كما هي عند أغلب الناس.

وحسب رأي بياجيه فإن الطفل حين يميز نفسه عن البيئة تكون أحكامه واقعية ويعتقد بصحة وقدسية أحكام الكبار بكونهم أقوياء ومصادر للسلطة والأشياء التي يعتمد عليها، ولذا فهم حسب رأيه – أي: الطفل – دائمًا على صواب ويجب إطاعتهم بغض النظر عن أي اعتبار آخر، ومن هذا المنطلق يرى الطفل أن جميع القوانين مطلقة وغير مرنة ونهائية وفوق سيطرته، كما أنه يرى أن القواعد الأخلاقية ثابتة وليست أداتية أو وسائل لأغراض إنسانية، ويكون موقع السيطرة بالنسبة إليه خارجيًّا ويمتلك احترامًا أحادي الجانب للكبار (يحترم الكبار دون أن يحترموه) ثم يحدث تبدل تدريجي في تعليل الطفل كلما ازداد التفاعل بينه وبين الأطفال الآخرين، ثم يصبح هذا التعليل نسبيًّا حينما يدعى للمشاركة في وضع القواعد.

وقد طوّرت مفاهيم بياجيه التي وضعها عام 1932 بواسطة كولبرك في مجال تقدير الأحكام الخلقية من خلال استعمال مشاكل نظرية افتراضية مما فتح بابًا واسعًا لإضافات أخرى في النظرية الخلقية وتطبيقاتها من خلال البحوث التي بدأها كولبرك في المدارس والتي كانت مهمة جدًّا.

بعض التطبيقات للآباء والمعلمين في تطير الأحكام الخلقية :

1 – إن معظم أطفال المدرسة الابتدائية هم في مستوى ما قبل العرف الاجتماعي (نظام كولبرك)؛ ولذا يجب على معلمي المدرسة الابتدائية أن يقدروا المرحلة الراهنة للنمو الخلقي لتلامذتهم قبل البدء ببرنامجهم للتربية الخلقية وبذلك يستطيعون تجنب استعمال مستوى عالٍ من التعليل الخلقي الذي لا يفهمه التلاميذ.

2 – يستطيع المعلمون عرض مشكلات تركز على التعليل الخلقي لمرحلة خلقية واحدة أعلى (قيادة التطور الخلقي نحو مرحلة أعلى) من مستوى نمو التلاميذ الخلقي.

3 – يجب على المعلمين أن يمنحوا تلاميذهم وقتًا كافيًا للاستجابة بطريقة توسطية في حل المشكلات التي يعرضونها، وربما يعتمدون على كتابة مذكرات أو قد تكون مقابلة فردية أو إجراء مناقشة وحوار.

4- يجب أن يساهم الآباء في عملية إثارة الأحكام الخلقية لدى الأطفال كخطوة على طريق تعليم هؤلاء الأطفال لهذه الأحكام بمرور الوقت.

ثانيًا- استشراف المستقبل: Future Orientation

إن الأحكام الخلقية الصادقة تتضمن الاحتمالية بأن الفوائد المرجأة يمكن أن تفضل على إشباع الحاجات الآنية والمباشرة، فالقدرة على تأجيل رغبات الشخص في إشباع الرغبات الحالية لها امتيازات ودلالات خلقية عليا، ومجتمعنا يؤكد على الحرمان من بعض المتع والتضحية بالحاضر من أجل إشباع مستقبلي. واستشراف المستقبل هو جزء من التنشئة الاجتماعية التي تحقق بصورة خاصة بين عمر (7- 12 سنة) حين يرغب الأطفال اللعب في جماعات حيث لم يعودوا مركزيي الذات، وتدعى هذه المرحلة أحيانًا بالصيغة الابتدائية للإنسان البدائي الذي كان يكافح ضد قوى الطبيعة محاولاً إخضاعها لأغراضه الخاصة، ويطلق الأطفال في هذه المرحلة هتافات حرب متوحشة، ويتآمرون على بعضهم ويخلقون إزعاجات كثيرة لذويهم، ويميلون إلى اعتبار المجموعات الأخرى وبضمنها جماعة الكبار والبالغين جماعات معادية، ولهذا فإن لعبهم ضد الجماعات المعادية يعد عادلاً، وهذا ما دعى بعض المهتمين بالطفولة إلى تسمية هذه المرحلة بمرحلة العصابات.

وقد أجرى ميشيل وجيلي كان Mecheel & Jellycan 1970 دراسية لمعرفة العلاقة بين الأطفال الذين استطاعوا تأجيل إشباع حاجاتهم وأولئك الذين لم يستطيعوا، حيث أشار الباحثان في تعليمات التجربة للأطفال بأن الذين يمكن أن يحصلوا على جوائز للغش عندما يتمكنوا من ذلك يمكن أن يحصلوا على جوائز أفضل فيما بعد إذا لم يغشّوا، وأظهرت النتائج أن الأطفال الذين حصلوا على نتائج أفضل وكانوا قادرين على إشباع حاجاتهم قد غشّوا أقل بكثير من الذين فضلّوا المكافآت. المباشرة إن تطور الاندفاعية للحصول على إشباع مباشر يتم تعلمه في البيت، وغالبًا لا يتم تصحيح ذلك في المدرسة الابتدائية وفقًا لما يجب أن تكون عليه ويحصل ذلك على الأغلب في البيوت ذات المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدني

حيث يتوجب على كلا الوالدين العمل، وينطلق الأطفال أحرارًا في الشوارع تحت رحمة اندفاعاتهم، وحينما يكبرون يمكن أن تكون المخدرات والمسكرات والعنف والجنس وسائلهم المفضلة للتسلية وقضاء الوقت.

وفضلاً عن ذلك فإن الأطفال الذين ينشئون ويكبرون في مثل هذه البيئات قلّما يكتسبون عادة تأجيل إشباع الحاجات أو يطوّرون نمطًا في الحياة يلعب فيه التطور الخلقي دورًا مهمًّا، ومن المرجح أن يطبقوا مبدأ (البقاء للأصلح والسيادة للأقوى).

إن الصلة الوثيقة بالإشباع المؤجل والأخلاق يمكن إيضاحها من خلال الجرائم التي تحدث والتي يقوم بها بعض المجرمون والجانحون؛ فهم يمارسون هذه الأفعال الإجرامية لتسهيل الإشباع المباشر لحاجاتهم بدلاً عن العمل والمثابرة، ولقد كتبت جاريس فراينبورغ Jaties Frienberg 1972 كتابًا بعنوان (طفل مفسد في شاب غاضب)، أوضحت فيه أن الإشباع المباشر يتطور من الدلال الزائد في الطفولة إلى إجرام في الكبر، وقد قدمت وصفًا طريفًا لهذه الحالة عندما قالت: حين يبكي الرضيع فإننا نضع في فمه رضّاعة لإشباع رغبته، وحين يبكي الطفل نعطيه ملهاةً، وعندما يصبح مراهقًا فالسيجارة تحل محل الملهاة، وإن عقلية (أريدها الآن) هي السبب الجذري لأغلب حالات الجنوح.

تطبيقات عملية للآباء والمعلمين في تطوير استشراف المستقبل :

1- يجب أن تكون فكرة استشراف المستقبل في عقول الأطفال واضحة بالاستفادة من صناديق التوفير لاقتناء الأشياء الثمينة التي يحتاجونها، كما يتطلب أيضًا أن نشجع الأطفال على اقتناء مثل هذه الأشياء بأنفسهم بدلاً عن توكيل شخص آخر يشتريها لهم، ويجب أن تأخذ الأسر بنظر الاعتبار فوائد المصاريف وتنظمها بصورة معتدلة، وباعتماد التخطيط لحاجات الأسبوع والأسابيع القادمة.

2- يجب أن يتبنى الآباء والمعلمون سياسة ثابتة تجاه السلوك غير المرغوب، وإيضاح العلاقة بين ذلك السلوك والمستقبل.

3- تقديم ألعاب للأطفال تتضمن أنشطة رياضية وترفيهية، وتشجيع درجة

معينة من تربية وتهذيب الذات وتوجيهها نحو تطوير مستقبلي للذات بالاستناد إلى أمل الحصول على تحسن لاحق.

4- يستطيع الآباء والمعلمون تشجيع الشعور بالتطلع نحو المستقبل بين الصغار عن طريق عرض ومناقشة تجاربهم في إشباع رغباتهم قبل الحصول على الموقع المتميز في الوظيفة أو غيرها، إضافة إلى ذكر السنين الطويلة المطلوبة لإعداد نماذج من المهن أو المواقع والاختراعات، والقادة الأخلاقيين العظام.

ثالثًا- الشخصية الخلقية: Moral personality

ويقصد بها الدرجة التي يكون فيها الفرد قادرًا على معاملة الآخرين كأشخاص أيضًا، فالطفل يستطيع أن يحب ويحترم الآخرين وذلك إذا كان قد حصل على حب واحترام من قبل، ومن منطلق (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به). والقانون الأساسي للتفاعل الاجتماعي هو أن نعامل الآخرين كما عوملنا وبما عاملونا به، ولهذا فنحن نميل إلى أن نعمل للأطفال ما عُمل لنا وخصوصًا في البيت وفي الصف، فالتربية الخلقية في الصف يتم تعلمها بعلاقات بين معلم وطالب أو بين طالب وطالب، فليس هناك شخص في البيت أو المدرسة أو المجتمع يعيش منعزلاً عن الآخرين؛ وبما أننا نعيش معًا في علاقات مع الآخرين فالأخلاق تصبح ضرورية لأنها تربط بين أفراد تجمعهم علاقات مختلفة، وحينما نعامل الناس على أنهم أشياء مجردة فإننا نرتكب بهذا خطئًا كبيرًا، لأن الفرد الناضج والمحقق لذاته يعترف دائمًا بقيمة الآخرين عن طريق إضفاء الاحترام الشخصي الذي يستحقونه عليهم، وفي ضوء ذلك فإن المشكلة الأخلاقية الكبرى في زماننا تكمن في حقيقة أن الناس لم يعودوا سوى مجرد خدمات وأصبحوا متباعدين وأقل إنسانية وأخلاقية من السابق، وحتى المدرسة فإنها قد أسهمت في فقدان هذه الشخصية في وقت يتطلب منها أن تعد الأطفال كأشخاص، وتؤكد على العلاقات الإنسانية والقيم الشخصية ومساعدة الأطفال على تجنيد وتفضيل وتقدير ما هو إنساني وتقدير مشاعر وأفكار وشخصيات الآخرين من خلال تنمية القدرة على أخذ الدور.

تطبيقات عملية للآباء والمعلمين في الشخصية الخلقية:

1- يفضل أن يظهر المعلمون والآباء شخصياتهم الخلقية عن طريق التصرف السليم واحترام الأفكار التي يبديها الآخرون.

2- يجب أن يراعي الآباء والمعلمون احترام شخصية الطفل ويشجع سلوكه الخلقي النبيل وإثابته وتكريسه لكي يتقرر بمرور الوقت.

3- على الكبار أن يضعوا نصب أعينهم حقيقة أنهم نماذج يقتدي بها الأطفال، وهذه النماذج يجب أن تكون قدوة طيبة وصالحة للاقتداء بها.

رابعًا- التسامح الخلقي: Moral Tolerance

هناك دراسات عديدة استنتجت أن مرحلة بياجيه الخلفيتين (الواقعية الخلقية أو المقيدة والنسبية الخلقية أو التعاونية) تعكسان حقيقة أن الآباء الدكتاتوريين المسيطرين يقودون إلى نمو أخلاقية تحديد الأفكار في الطفولة، فالأطفال مع درجة عالية من التحديدات في شخصياتهم يكونون دكتاتوريين بصورة أساسية، كما أنهم يكونون أكثر سعادة وأكثر أمانًا حين يكون سلوك الناس المحيطين بهم وأفكارهم متطابقة أو مسايرة لما يريدون، فَهُم لا يستطيعون أن يتحملوا أو يتسامحوا مع أفكار وأنماط جديدة من السلوك، وهم يرون الأشياء بيضاء أو سوداء فقط أما الرمادي فهو بالنسبة لهم لون للتهدير لا يريدونه.

إن مثل هؤلاء الأطفال ينشئون ويكبرون ليتواءموا مع عمل ممل ورتيب في سوق العمل، فهم نتاج لتربية ولّدت لديهم هذا السلوك المتعصب وعدم التحمل مع معاداة للتطور الخلقي بعكس الأطفال المتسامحين الذين يكونون أكثر تقبلاً في البيئة الاجتماعية وحينما ينمون فإنهم سيكونون ميالين إلى حل المشاكل من خلال النظر إلى المبادئ بدلاً من التوصيفات النظامية كما أنهم يميلون إلى تطوير سيطرة داخلية واستقلالية ولا يكونون معتمدين على توجيهات مفروضة عليهم بصورة تسلطية لاتخاذ قرارات خلقية، ويبدو من هذا أن البيت والمدرسة التي تبنى على أسس ديمقراطية هما اللذان يسمحان بصورة أفضل بتطوير سمة التحمل والتسامح

عند الأطفال، ولكن في نفس الوقت فإن ممارسة السلطة من قبل الوالدين ضرورية لمعرفة أي الأنظمة مطلوب اتباعها إذ إن بناء السلطة يجب ممارسته بقدر الحاجة لإعداد الأطفال لليوم الذي يكونون فيه وحدهم؛ فيمارسوا استقلالية منضبطة وآمنة؛ ولا يفوتنا هنا أن نذكر ما للمعلم من دور وإسناد كبيرين في مساعدة الأطفال للوصول إلى الحرية في البحث واتخاذ القرارات لكي يستطيعوا بناء القواعد التي تحكم السلوك ويغوصون إلى المبادئ الأساسية، أي: تلك التي تكون أساسًا للقواعد السلوكية المطلوبة.

بعض التطبيقات العملية للمعلمين والآباء في تطوير التسامح الخلقي:

1- يجب مساعدة الأطفال في البيت والمدرسة على مناقشة المشاكل المتعلقة بسلوكهم مثل الكلام غير اللائق، الكلام بدون إذن، احترام رأي الآخرين.

2- يفضل استخدام طريقة عصف الدماغ Brain Storm لمساعدة الأطفال في أن يكونوا أكثر تسامحًا في مواقف مختلفة لأنها مفيدة جدًّا في هذا المجال.

3- يجب أن يشجع الآباء والمعلمون الأطفال على القراءة أو مشاهدة برامج التلفزيون التي تظهر عادات وتقاليد وأنماط سلوك الشعوب والأمم والمجموعات الأخرى المختلفة داخل المجتمع الواحد والتي تظهر خلفيات ثقافية حضارية لمجتمعات أخرى.

4- على الآباء والمعلمين أن يناقشوا مع الأطفال طبيعة السلطة في البيت وفي المدرسة وفي المجتمع ليساعدوهم على رؤية الغرض من السلطة في البيت والمدرسة من أجل مساعدتهم تدريجيًّا في الوصول إلى الاستقلالية وحكم الذات.

خامسًا- الإبداع الخلقي:

يمكن أن تكون التفردية الشخصية نادرة وصعبة في المجتمع المزدحم المتوجه في تحضره نحو التكنولوجيا، فقد درس بارون Barun 1963 الأطفال المبدعين، ولاحظ أنهم يرفضون أن يقيّدوا أصالتهم بمتطلبات المجتمع، وبعد خمس سنوات من دراسته هذه وجد أن أولئك الأطفال أخذوا يتصفون بالمرونة في شخصياتهم

والديناميكية في تفكيرهم واستنتج بأنه حينما يختار الطفل البديل الأخلاقي بدلاً عن البديل النفعي، ويتمسك بالمثل الأعلى في الشخصية التي تنقل صفات وخصائص معينة مثل الظهور والتقبل الاجتماعي، فإن الإبداع العقلي يظهر عند أولئك الأطفال فيبدون أكثر تسامحًا وتلقيًا للخبرات الجديدة وميلاً نحو الاستقلالية أكثر من غيرهم وخاصة في التعبير الشخصي.

ويبدو أن الإبداع يرتبط أيضًا بالتفكير التباعدي للأطفال كمعاكس للتفكير التقاربي؛ فقد أشارت نتائج البحوث أن التقاربيين يتبعون الأفكار التقليدية، أما التباعديون فيميلون إلى المجالات الإبداعية وفي البحث عن أفكار وأجوبة جديدة، كما أن التقاربيين يميلون إلى التمسك بالاتجاهات التسلطية (الدكتاتورية) ولا يتقبلون تلك الأفكار المستقلة أو الأفراد المستقلين جدًّا على غيرهم في الاستقلالية بقوة الطاعة، بينما كان التباعديون محققين لذواتهم وكانوا متقدمين جدًا على غيرهم في الاستقلالية وتحمل المسئولية والنضج الخلقي، ولكن خاصيتهم الأساسية كانت الإبداع، وكانت رموزهم في الأخلاق هي رموز فردية وليست تقاليدية، والملاحظ غير المفكر ربما يعتقد في بعض الأحيان أنهم لا أخلاقيون لأنهم لا يستطيعون كسر التقاليد والقوانين أيضًا حينما يبدو أن الموقف يتطلب ذلك.

بعض التطبيقات للمعلمين والآباء في الإبداع الخلقي:

1- يستطيع المعلم داخل الصف أن يعلم التلاميذ بأن يفكروا بطريقة غير تقليدية وأن يطوّروا حلولاً تباعدية للمشاكل التي تواجههم، وبالطبع فإن التلاميذ سوف لا يتعلمون ذلك من خلال الوعظ والنصح وإنما من خلال التطبيقات الفعلية والعملية في هذا الاتجاه.

2- على المعلمين أن يشخصوا الأطفال ذوي التفكير الإبداعي والتباعدي وللكشف عن هؤلاء يمكن أن يفيد اختبار تورنس 1970 والذي تم تعريبه ليوائم البيئة العربية.

3- إن الطفل المبدع أو الموهوب ليس بالضرورة أن تكون لديه القدرات

العقلية المقاسة فقط؛ فقد تكون لديه قدرات أخرى وفي جوانب أخرى مختلفة، والمطلوب هنا أن يفهم الوالدان والمعلمون ذلك فيساعدوا مثل هؤلاء الأطفال ومراعاتهم لئلا تفسد موهبتهم ويخسرهم المجتمع.

4- من الممكن أن يكون المعلمون والآباء من ذوي التفكير التقاربي ويميلون إلى الاعتقاد بأن جميع أنواع التفكير الأصيل حول القضايا الخلقية قد أُهمل منذ زمن بعيد، ومن المهم لهؤلاء أن يكونوا منفتحين لحلول جديدة ممكنة للمشاكل الخلقية مثل عدم العدالة وعدم توزيع الثروة.

5- يجب أن يشجع الإبداع الخلقي لدى الأطفال وتشجع استجاباتهم الشخصية نحو المشاكل في العالم وتُعزَّز، لا أن تحبط أو تكبت.

6- إن تاريخ الأفراد المبدعين الناجحين يرينا أنهم يحتاجون إلى سند وملجأ، فيجب أن يَعُدَّ الآباء والمعلمون مساعدة هؤلاء فائدة كبيرة لهم وللمجتمع.

سادسًا- التعاطف: Sympathy

وهو قدرة الفرد على وضع نفسه محل الشخص الآخر، وربما أن التطور الخلقي يتضمن علاقات بين الناس فإنه من الواضح أن الشعور بالتعاطف يعد مهمًا على أساس كونه عملية إعداد لمستويات أعلى من الفعالية الأخلاقية كالإيثار مثلاً.

والتعاطف الصحيح يحتاج إلى جانب إدراكي قوي يمتلك الفرد من خلاله معرفة متعمقة بالأفكار وعمليات التفكير عند الآخرين، ولكن قد يثار سؤال عن العمر الذي يتكون فيه التعاطف، فقد أظهرت دراسات مختبرية أن الأطفال في عمر (20 شهر) أظهروا قدرة على معرفة مشاعر الآخرين؛ فقد أظهرت دراسة قام بها أحد الباحثين: أن الطفلة (نانسي) البالغة عشرين شهرًا طلبت لعبة من أختها فرفضت أختها إعطائها اللعبة، فذهبت نانسي إلى حصان أختها العزيز عليها فضربته وصاحت: لقد ضربتك أيها الحصان. فما كان من أختها إلا أن رمت اللعبة التي كانت بيدها واتجهت إلى الحصان والتقطته، وبذلك هرعت نانسي إلى اللعبة فأخذتها، وبهذا فقد تصرفت الطفلة بطريقة تنبُّئية بأن هذا الإجراء ينتج عنه رد فعل

يتصف بالعنف من أختها والتي رمت اللعبة التي كانت تحملها لتسارع إلى الحصان مما جعلها تبادر إلى التقاط اللعبة الساقطة مظهرة معرفة نفسية بأختها.

إن القدرة على التعاطف يمكن أن ترتبط مع المشاعر الأولية للألم والاكتئاب، فالطفل الصغير يتذكر شعور الأم حين يسقط وتجرح ركبته أو حين يكون لديه ألم أو مغص معوي، أو حين توجه إليه صفعة. وهناك تساؤل هو: هل جميع الأشخاص يمكن أن يكون لديهم تعاطف؟ ويجيب هوفمان Hoffman 1976 : نعم، إن جميع الأشخاص لديهم احتمالية التعاطف، فالأطفال يكتسبون التعاطف ليس عن طريق السلوك الإيثاري نحو الآخرين وحسب، وإنما عن طريق المشاركة في المشاعر وعمليات التفكير.

تطبيقات عملية للمعلمين والآباء في التعاطف:

1- من الممكن إظهار التعاطف من قبل الكبار والذين يظهرون المشاعر الإيجابية نحو الآخرين.

2- إعادة النظر في الكتب والمناهج التي يمكن أن تسهم في الإحساس بالتعاطف.

3- مناقشة الأحداث الجارية مع الأطفال وإثارة المشاعر التعاطفية مع الآخرين والأحداث.

4- تشجيع الأطفال على الحوار ومساعدتهم على مواجهة بعض المشاكل مباشرة، وليس إبعادهم عنها.

* * *

مراحل أخذ الدور لدى روبرت سلمان

كلما نما الأطفال كلما أصبحوا قادرين على تصور أفضل لأن يبتعدوا عن تصوراتهم الخاصة بهم وعن دوافعهم ومشاعرهم، ويصبحوا فاهمين أكثر لإدراك مقاصد الكبار والآخرين، وهذه الانتقالة من مركزية الذات في الطفولة المبكرة تعد الأساس لمهارات الاتصال الفكري، وتطور المعايير الخلقية التي تتضمن اهتمامًا لمشاعر ورعاية الآخرين، وكذلك نمو الفهم العاطفي الذي يعد الأساس في عملية التطبيع الاجتماعي، وقد قدم لنا روبرت سلمان ستة مراحل لتطور أخذ الدور عند الطفل، وهي:

المرحلة الأولى: من عمر (4- 6 سنوات) وتسمى المرحلة الصفرية

وقد أسماها روبرت سلمان بمرحلة مركزية الذات Ego Centric أو الاستشرافات غير المتمايزة؛ حيث لا يميز الطفل بين استشرافاته واستشرافات الآخرين، فهو لا يعرف بأن هناك شخصًا آخر يمكن أن يفسر الخبرات بطريقة مختلفة عما يفعله هو.

المرحلة الثانية: من عمر (6- 8 سنوات) وتسمى وجهات النظر الذاتية أو المتمايزة

بحيث يبدأ الطفل بمعرفة أنه شخصية مستقلة عن الآخرين الذين يمكن أن تكون لهم توقعات أو تفسيرات متباينة أو متطابقة، ويصبح الطفل قادرًا على أن يرى نفسه من وجهة نظر الآخرين، ويعرف أن الشخص الآخر يفعل نفس الشيء مما يتيح له أن يتوقع ويأخذ بنظر الاعتبار أفكار ومشاعر الآخرين. وعلى الرغم من أن معرفته بأن الناس المختلفين يمكن أن تكون لهم تصورات مختلفة، لكنه لا يستطيع أن يحكم بدقة عمّا ستكون عليه تصورات الآخرين.

المرحلة الثالثة: من عمر (8- 10 سنوات) وتسمى مرحلة التصورات التبادلية أو التصورات القائمة على عكس الذات Self Reflective

openkandil.com

حيث يرى الطفل نفسه من خلال تصورات الآخرين له، ويتحقق بأن الآخرين يستطيعون أن يفعلوا الشيء نفسه وهذا يسمح له بأن يتوقع ويعترف بأفكار ومشاعر الآخرين.

المرحلة الرابعة: من عمر (10 – 12 سنة) وهي مرحلة وجهات النظر المتبادلة Mutual perspective

وفي هذه المرحلة لا يكون الطفل قادرًا على فهم تصوراته ووجهات نظره وأفكاره وأفكار الآخرين وعارفًا بأن الأشخاص الآخرين يستطيعون عمل الشيء نفسه في الوقت نفسه فحسب، وإنما يستطيع أيضًا أن يرى هذا التصور المتبادل من موقع شخص ثالث حيث يستطيع أن يفكر كيف أن عضوًا من مجموعة أخرى كجماعة الآباء أو المعلمين أو أطفال آخرين في فريق اللعب يمكن أن يظهروا وجهات نظر كلا الشخصين.

المرحلة الخامسة: من عمر (12 – 15 سنة)

وهي مرحلة التصور الاجتماعي أو التصورات بعمق، والطفل في هذه المرحلة يرى أن الناس يكونوا قادرين على رؤية شبكات أو منظومات من التصورات بين الناس لا توجد على مستوى سطح التوقعات الشائعة فقط، أو على مستوى التعرف فقط، وإنما أيضًا قد يتضمن مستويات أعمق من أساليب الاتصال مثل المشاعر غير اللفظية أو القيم.

المرحلة السادسة: بعد عمر (15 سنة)

وفيها يصل الفرد إلى النضج والتصور الكامل حيث يبدأ باتخاذ وجهات نظر التفاعل الرمزي، ويلاحظ بشكل نسبي وجهات النظر المتعمقة أو المتجذرة اجتماعيًا، ووجهة النظر التي تذهب وراء حدود أي مجتمع قد يجد المرء نفسه فيه قادرًا على أن يتبناها.

* * *

openkandil.com